

باب الألف

الأفعى:

الأنثى من الحيات، وذكر أفعوان، وكنيته [أبو حيان] وأبو يحيى، لأنه يعمر ألف عام^(١). والأفعى حية رقشاء، دقيقة العنق عربضة الرأس، ورييا كانت ذات قرنين، وهو قاتل للإنسان. وألوانه مختلفة، سود وصفر، وتكون برمال مصر، وغبر وجر، وقصار الذنب.

وأكل لحمها حرام عند الشافعي.

وفي المثل. تحككت العقرب بالأفعى، إذا تكلم ضعيف مع قوى وناظره. وقالوا: أظلم من أفعى^(٢)، لأنها لا تحفر لها جحرا، بل تدخل جحر غيرها، فيقر. وقالوا: من لدغته الحية من الحبل بخاف، وإليه يشير ابن عبد القوس^(٣) (من الكامل).

(١) التدميري ٢٦/١ وابن حجة، النورقة ٥٠.

(٢) الشن في الميداني ٤٤٥/١، المستقصى ٢٣١/١، نثر الدر ١٩٨/٦، اللسان (حيا).

(٣) صالح بن عبد القدوس أبو الفضل، مولى الأزدي، قتل سنة ١٦٧ هـ ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/٤٩٢-٤٩٣، الأبيات في حياة الحيوان للتدميري ٣٢/١.

الرءُ يجمعُ والزمانُ يُفَرِّقُ

ويظلل يرقع والخطوب تمزقُ

ولأن يُعادى عاقلاً خيرٌ له

من أن يكونَ له صديقٌ أحمقُ

فارغب بنفسك أن تصادق أحمقاً

إن الصديق على الصديق مصدق

لا تلفينك ثاويها فى غربة

إن الغريب بكل سهم يرشق

وإذا الفتى^(١) لستته أفعى مرة

تركته حين يُجرُّ حبلٌ يفرق

بقى الذين إذا يقولوا يكذبوا

ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

نادرة:

وفد سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت الأنصارى الشاعر، ابن

الشاعر، على هشام بن عبد الملك فجعل يختلف إلى عبد الصمد ابن

عبد الأعلى، مؤدب ولده، فأرادَه على نفسه، وكان لوطياً زنديقاً،

(١) جاءت "امرؤ فى غ".

فدخل سعيد على هشام مغضبا، وقال: والله لولا أنت لم ينج منى سالما
عبد الصمد قال: ولم ذلك؟ قال: إنه قد رام منى خطرة لم يَرْمُها قبله منى
أحد قال: ما هي؟ قال: (من الرمل).

رام جهلابى وجهلابى

يدخل الأفعاء فى غِيل الأسد

فضحك هشام وقال: لو فعلت به شيئا لم نكره. ومن خواصه: يكتحل
بدمه فيجلو البصر، وقلبه يجفف ويشدّ على إنسان فلا يؤثر فيه سحر.
وإن علق ضرسه الأيسر على من يشتكى ضرسه نفعه. وإن علق على
فخذ امرأة لم تحبل. قال بقراط: ومن أكل لحمه أمن من المرض
الصعب. ولحم جميع الحيات شديد الحرارة، يسخن ويجفف، وينبغى
لمريد أكله أن يَصْلِقَه^(١) بماء وشبت وزيت، ويأكل معه كراثا، وقد جرب
مرارا، ونفعه من الجذام أكلا، وينفع شربا من السم، وإن استعمله
مجدوم قشر جلده. ويستعمل ملح الأفعى بدل لحمه، فيفعل فعله،
لكنه أضعف، بأن يصير فى قدر حجر جديد، ويوضع معه ملح وشبت
وتين بعد سحقه ودقه برطل ونصف مع تسع أواق عسل وبطين فم
القدر، ويشوى فى تنور حتى يلتهب ما فى القدر ويصير كالجمر، ثم
يخرج، ويسحق. وإن طبخ لحم الأفعى وأكل أحد البصر، وأبرا
العصب. وينبغى أن يسلخ جلد الحية، ويقطع ذنبها ورأسها لقلّة

(١) يصلقه: يشويه. (اللسان صلق).

لحمها، لا كما يتوهمه العامة من السقاية، ثم يخرج ما بطنها، ويغسل بماء وملح، وتطبخ بزيوت وشراب وملح قليل، فتحفظ الخواص والشبيبة. وإذا دقت نية ووضعت على نهشتها نفع شديدا، وكذا إن وضع على داء الثعلب. وقيل إن أكل لحمها يطيل العمر، لكن الإكثار منه يفسد المزاج، ويقرح البدن، والإقلال يخرج عفونته إلى ظاهر الجلد بقوة. وإذا خنق سبع حيات بخيط صوف أحمر، وعقد على كل خنقة عقدة بالخيط، وأدير هذا الخيط على حلق من به خناق أبرأه، مجرب.

الأنس:

البشر أو الإنسان من الناس، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، مشتق من الأنس، فالهمزة أصل، وقيل من النسيان فزائدة، وعليه قيل: (من الطويل).

وما سمي الإنسان إلا لنسيه

ولا القلب إلا أنه يستقلب

ويقال للمرأة إنسان لا إنسانة، والعامة تقول له، وعليه قال الشعالي^(١): (من يجوز الرجز).

إنسانة فاتنة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عني بها فبالدموع تفتسل^(٢)

(١) أبو منصور عبد الملك الشعالي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، وصاحب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. والبيتان في عنوان المرقصات والمطربات ٥٤ د.

(٢) إذا زنى طرفي بها بدمع عني تغتسل

وهو من قول أبي هند: (من الطويل).

يقولون لي ما يال عيناك كلما

رأت حين هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه

فكان لها من صوب أدمعها غسل

وقد اعترض بأن لفظة زنت ذهبت بحسنه عند ذكر المحبوب.

والإنسان أشرف الخلائق وأبدعها شكلا وأحسنها، ولذلك لو قال

لزوجه: إن لم تكوني أحسن من القمر، فأنت طالق، لم تطلق، وإن

كانت سوداء زنجية، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

تَقْوِيمٍ﴾^(١). وقال المصطفى: إن الله تعالى خلق آدم على صورته، أي

على صفته، فجعله حيًا، عالمًا، قادرًا، مريدًا متكلمًا، سميعًا، بصيرًا،

مديرًا، حكيمًا، لكن هذه موافقة في أسماء الصفات لا حقائقها، وجمع

فيه ما تفرق في العالم العلوي والسفلي كما قيل: (من المقارب).

أترعهم أنكم جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر^(٢)

(١) سورة التين: ٤.

(٢) البيت للإمام الغزالي.

عجيبة: في تاريخ ابن النجار أن رجلاً زوج غلامه امرأة فأتت بولده، ومنعته من رؤيته، فأخبر سيده، فسألها، فقالت إنه بلية قبيحة، وإنه أبلق، نصفه أسود، ونصفه أبيض. فصاح الغلام: "ابنى! ابنى! فإن جدى كان كذلك". فصل: ملح بول الطفل يجلو البهاق والكلف؛ منى الإنسان يزيل البهق، وأكله يحرك الباء، ويتغذى غذاء حسناً. وإن خلط بزهر الغبيراء^(١)، وجفف، وأطعم لامرأة، عشقته. ولعاب الصائم يقتل دود الأذن، وهو ترياق للسهل والعقرب والرتلاء ووسخ الأذن، قاتل يورث المغص والنفخ. وإن أحرق إنسان أظفاره العشرة وسقاها لامرأة، عشقته وعكسه. وإن أحرق شعره ولت بدهن ورد نفع الأسنان. وقد يتغذى الطفل بالسموم يترى عليها، فيكون جميع أجزائه ونفسه قاتل، ولا شيء من الحيوان يقبل هذه التغذية. وروثه محلل ملين، ينفع القولنج^(٢) وحس البول ووجع الحلق، إذا أخذ منه قدر حمصة، وأذيب بخل وشرب. وروث الطفل حين ولد، يجفف ويسحق، يزيل بياض العين والغشاوة. والاكتحال يبول الإنسان يحد البصر، وشربه نافع من لدغ جميع ذوات السموم. وإذا غلى وطلى به داء النقرس^(٣)، نفعه وجميع القروح الحادثة في القدم، سيما البول العتيق. ويصاق الإنسان على الريق ينفع من لدغ الهوام والقوباء طلاء. ودم

(١) شجرة معروفة ببلاد المشرق كله، وهي كثيرة جداً في العراق والشام، انظر ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٢/ ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الفضل والريح.

(٣) داء يأخذ في الرجل، وهو ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

رجل الشريف ينفع المكلوب. وإن عجن غبار الرحي بعرق الإنسان ووضع على ثدي مشررم نفعه، وينفع جمود اللبن، والثدي والصرع. وإن عجن منيه بسداب مدقوق، وزر على الأكلّة^(١) أبرأها. وإن عجن بخل وطلّى به الخلق من خارج نفع الخناق^(٢). وإن طلى الجرب بعرق النساء أبرأه. وإن كتب المعروف^(٣) اسمه بدمه على خرقه وجعلها نصب عينيه انقطع رعافه. وإن أريد معرفة أن المرأة عقيم أم لا فلتحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات، فإن فاح من فمها ريح الثوم فعالجها بالأدوية، وإلا فلا.

الأوز:

بفتح الهمزة، وكسر الواو، وهو معروف بحب الباحة، والفرخ يخرج من بيضته: فيصبح حالا^(٤)، وإذا حضنت الأنثى، حرسها الذكر^(٥)، ووصفه أبو نواس بقوله: (من الرجز).

ومنهل يعتم بالعلائق

جرى من الأوز فسى السراق

(١) داء يقع في العضو يأكل منه.

(٢) حر يأخذ في خلق الإنسان، فربما سعل حتى يموت. وقيل إنه داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة والقلب.

(٣) المصاب بالثرعاف، وهو دم يسيل من الأنف.

(٤) النويرى، ١٠/٢٣٥-٢٣٦.

(٥) الدميرى ١/٤٣، وابن حجة، الورقة ٥ أ.

وللعز من مسنة وعائق

سود الأماقى صفر المخائق

كأنما يصفرون من ملاعق

صرصرة الأعلام فى المهارق

وفى نظم أسماء الطير للخليل: (من الضويل).

ألا فاسمعوا أسماء طير نظمته

بها يفخر الرامى وللخير يفنم

عقاب وغسرنوق ونسر ولقلق

وصوع وكركى وكى ومرزم

أنيسة عناز شميظ حبيرج

أوز وتم للجهم يـــــــتم

وحكمه: الحل إجماعا.

وهو قوى الحرارة، غزير الرطوبة، بطنه الهضم، لكنه أصلح من

غيره من طيور الماء، وإذا انهضم غذى غذاء جيدا قويا.

ومن خواصه: أن يجوفه حصاة تنفع من الاستطلاق إذا شربها

مبطون؛ ودهنه ينفع ذات الجنب وذاء الثعلب طلاء، وأكله يحرك الباه،

ويقوى المنى فى المبرودين، ولسانه إن أكل منع تقطير البول، وإذا خلط

بيضه بزيت وقطر في الرحم وهو فاتر أدر الطمث، وإن أكل رجل
خصيته مشوية وجمع حلا حملت المرأة.

ابن آوى:

سمى به لأنه يأوى إلى عواء أبناء جنسه، وجمعه بنات آوى^(١) قال
الشاعر: (من الرجز).

إن ابن آوى لشديد المقتنص

وهو إذا ما صدى ربح فى قفص

وكنيته: أبو ذنب، ولا يعوى إلا ليلاً إذا استوحش، وصوته
كالطفل، وهو طويل المخالب، يعدو على غيره، ويأكل مما يصيده من
نحو طير، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من ثعلب، فإذا رآته
وهى على جدار سقطت.

ويحرم أكله عند الشافعية والخنفية لعدوه بنابه.

ومن خواصه: أن لسانه إذا كان فى بيت تحاصم أهله، ولحمه ينفع
الجنون والصرع؛ وتعليق عينه اليمنى تدفع العين.

الأيمل:

بتشديد الياء المكسورة، ذكر الأوعال^(٢)، وهو الثيس الجبلى وقيل
غيره، وبه جزم جمع منهم ابن العباد وجعله الرافعى مع الظباء بمنزلة
الضأن مع المعز.

(١) الدميرى ٩٩/١، وابن حجة: الورقة ٦، اللسان (أو).

(٢) ابن حجة الورقة ٥ ب.

وقد ذكره الشاعر^(١) في قوله: (من البسيط).

كناطح صخرةً يوماً ليوهنها^(٢)

فلم يضرها وأوهى قرنته الوعلُ

أراد كوعل ناطح، وهو إذا خاف صيادا رمى نفسه على ظهره وعلى قروته من رأس الجبل، فلا يضره، فإن أخطأ أن يقع على قروته فزاغ يمينا أو شمالا هلك. وعدد سني عمره عدد العقد التي في قرنه. وفي قرنه ثقب منه يتنفس، فإن انسد مات، وهو بار بأبويه، يحضر لها الطعام والشراب، سيما عند الكبر، وإذا لسعته حية يأكل السرطان فيبرأ، والسّمك يحبه، ويقبل عليه، لأنه إذا مشى بالساحل، قَرَّبَ السّمك منه ليراه، ولذلك يلبس الصياد جلده لئلا يسهى السّمك، وهو مولع بأكل الحيات، وربما لسعته، فيسيل دمه إلى نقر محاجر عينيه، فيجمد كالشمع، فيتخذ ترياقاً لسم الحيات، وهو البازهر الحيواني^(٣)، وأجوده الأصفر، وهو بالهند والسند وفارس، وفي تجويف قرنه شيء يشبه الصوت، إذا وضع في النار لا يحترق، قال أرسطو: وهو يلقي قروته كل سنة للناس، ثم ينبت غيرها ويصاد بالصفير والغناء، يصفي له، فيرعى أذنيه، فيؤخذ، قال الزجاجي: سئل ابن دريد عن معنى قوله: (من الوافر):

(١) الشاعر هو الأعشى، والبيت في ديوانه ٤٦، الأغاني ٨/ ٩٩، حاشية البحرى ١٤٨، النقائص ٦٤.

(٢) الديوان ليفلقها...

(٣) النويرى، ٩/ ٣٢٤ والحاشية ٣.

هجرتك لا قلبي منى ولكن

رأيت بقاء ودك فى الصدود

كهجر الحائضات الورد لما

رأت أن المنية فى الورد

تفيض^(١) نفوسها ظمأً وتخشى

حماما فهى تنظر من بعيد

فأجاب بأنه أشار إلى الأيل، فإنها تأكل الأفعى فى الصيف، فتحمى وتلتهب حرارتها، فيطلب الماء، فإذا رآه امتنع من شربه وحام حوله يتنسمه، فإنه إن شربه وصادف الماء السم بجوفه هلك، فيمتنع منه ليذهب ثوران السم، ثم يشربه، فيقول الشاعر إن ترك وصالك مع شدة شوقى كالحائضات التى تدع شرب الماء مع شدة الحاجة، حفظا لحياتها.

وحكمه: الحل اتفاقا.

ومن خواصه: أن ذكره عصب، لا عظم ولا لحم، وقرنه مصمت لا بجوف، ولحمه غليظ حار رديء، شديد اليبس، وأردأه ما هو حديث عهد بالصيد فى زمن الحر، بعد كد وعدو منه، وأكله عقب ذبحه وهو عطشان مهلك، فينبغى أن يصاد شتاء، ويترك بعد صيده للشتاء،

(١) جاءت "تفيض" فى ابن حجة، المرجع السابق، الورقة ٦ أ.

ويسقى ماء كثيرا قبل ذبحه، ولا يتركه يضطرب ويترك لحمه إلى وقت
لو زاد أثنى، ثم يطبخ بهاء وشبث، حتى يتهرأ، ثم يدسم بسيرج كثير،
والتبخر بقرنه يطرد الهوام، وكل ذى سم، وشرب دمه يفتت حصاة
المثانة، وإن أحرق قرنه كالخطب، وشرب منه مثقال مع مثله كثيرا،
نفع نفث الدم، وقرحة الأمعاء وقطع الإسهال المزمن، وأبرأ اليرقان،
وقطع سبل الرحم الرطوبى والدموى وإن أحرق حتى يبيض، وغسل
واكتحل به، منع سيلان الفضول للعين، ونقى قروحها، وإن استيك
به جلا وسخ الأسنان، وإن طبخ بخل وتمضمض به سكن وجع
الضرس، وإن سحق المحرق بعسل نحل وطلّى به البرص، وقعد في
الشمس أبرأه، وإن شرب منه المطحول^(١) نصف درهم أبرأه. وإن
عجن بسمن وطلّى به شقاق اليد والرجل، أبرأه. وإن طلى به قلاع
الأطفال برئ، وإن طلى به المعانة أو الشدى، أدر الطمث، وإن علق قرنه
على حامل، وضعت بغير ألم، وخمه ينفع التشنج مسوحا وإن علق
قطعة من جلده على إنسان لم تقر به حية، محرب، وإن شرب دمه قطع
الإسهال المزمن وأبرأ قرحة الأمعاء، والشربة منه مثقال. وإن سقى منه
خاما أو مشويا نحر مثقلين نفع السم الذى تسقى به السهام، ونحه
وساقه غاية في التحليل والإنضاج، وإزالة الإعياء، وإن جفف ذكره
وشرب، نفع لسع الحية، وإن شرب بشراب هيتج الباه، وأنعظ. وإن
شد بعضد إنسان لم تقر به حية، وإن أحرق ذكره وسحق بخمر وطلّى
به ذكر الفحل من كل حيوان أنعظ حالا، وأهاج، وإن بخر بظلمه

(١) المريض بالطحال.

العلق قتله وحيًا، مجرب. ورأس ذنبه سم قاتل، قال بعض الأطباء: وما نقوله الطرقية عن دمعه باطل، ولعله يشير إلى ما مر من سيلان دمعه عند أكله الحية، وذكر في الأسجال^(١) أنه رأى حيوانات غريبة الأشكال، منها وعول كالبقرة، لونها أحمر منقط ببياض ولحمها حامض جدا، قال ابن العماد: فإن صح فيظهر حلها إلحاقا بهذا النوع بمثاله من المأكول، عملا بالشبه الصوري.

(١) أسجال الاعتداء بإبطال الاعتداء. للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ).